وكان **أبو سليمان الدارانى** يقول لاتضر الشهوات من لم يتكلفها، إنما تضر من حرص عليها. وكان يدعو أصحابه فيقدّم إليهم الطيبات فيقولون له تنهانا عنها وتقدمها إلينا؟ فقال لأنى أعلم أنكم تشتهونها، فتأكلونها عندى خيراً، ولو جاعنى من يزهد ما زدته على الملح شيأ. وكان يقول أكل الطيبات يورث الرضا عن الله تعالى. وقال بعض الخلفاء شرب الماء بثلج يُخلص الشكر لله تعالى.

الفصل التاسع والثلاثون

فيه كتاب الأطعمة. وذكر ما يجمع الأكل من السنن والآداب. وما يشتمل على الطعام من الكراهة والاستحباب.

قال الله الجليل جلّ جلاله «**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله**». فقدّم الأمر بالأكل على الأمر بالشكر. وقال سبحانه" **ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**" ، فقدّم النهى عن الأكل للحرام على القتل للنفس ، تفضيلا للأكل الحلال وتعظيما للأكل بالباطل.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليؤجر حتى فى اللقمة يرفعها إلى فيه أو إلى فىّ امرأته .وروى عنه **صلى الله عليه وسلم** ما أطعم المسلم نفسه وأهل بيته فهو صدقة له. وسئل **صلى الله عليه وسلم** ما الإيمان ، فقال إطعام الطعام وبذل السلام. وقال **عليه السلام** فى الكفّارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام. وسئل عن الحج المبرور فقال إطعام الطعام ولين الكلام .. وكان **ابن عمر** يقول مِن كَرَمِ الرجل طيب زاده فى سفره وبذله لأصحابه. وروينا عن **علّى** عليه السلام لأن أجمع إخوانى على صاع من طعام أحبُّ إلىّ من أنْ أعتق رقبة. وروينا عن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** أنه قال إذا وضع الطعام وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء قبل الصلاة. قال فكان **ابن عمر** ربما سمع الإقامة وقراءة الإمام فلا يقوم من عشائه. وعن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** أفضل الطعام ما كثرت عليه الأيدى. وقال **عليه السلام** فضل **عائشة** على النساء كفضل الثريد على الطعام. وقال **صلى الله عليه وسلم** الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر ، وبَعْده ينفى اللمم ويصحّ البصر .. يعنى بالوضوء غسل اليد . وقال **أحمد بن حنبل** الأكل من الطيّب قدّمه الله عز وجل على العمل، فقال عز وجل «**كلوا من الطيّبات واعملوا صالحا**». وكان **سهل** يقول من لم يُحسن

أدب الأكل لم يحسن أدب العمل. قال والذى يتصنّع فى الأكل هو الذى يتصنّع فى العمل. وقال مرة الذى يؤدى فى الأكل هو الذى يؤدى فى الصلاة. وكان بعض السلف يقول إنى لأحب أنْ يكون لى نيّة فى كل شىء حتى فى الأكل والنوم. وقد كان السلف الصالح يكون لأحدهم فى الأكل نية صالحة، كما يكون له فى الجوع نية صالحة. والذى يأكل بغير نية الآخرة، للعادة والشهوة والمتعة، قد يجوع لغير الآخرة، للعادة والشهوة أيضا والتزيّن للخُلق، وهذا من دقيق آفات النفوس، فحُسْن مَن أكَل بنية الآخرة، ولأجل اللّه سبحانه وتعالى كحُسْن من جاع لأجل اللّه تعالى وبنيّة الآخرة، وإلاّ كان من أبواب الدنيا.

فالطعام والأكل يشتمل على **مائة وسبعين خصلة** ، مابين فرض وسنة، وأدب وفضيلة، واستحباب وكراهة، ومروءة وفتوة، من طريق السلف وصنائع العرب. **أول ذلك** أن يكون المأكول حلالاً، وعلامة الحلال **ثلاث**: تكون عينه معروفة لم يخالطها عينٌ ذمّها العلم من ظلم وخيانة، ويكون سببه مباحاً لم تحتوه بسبب محظور فى الشرع لأجل هوى أو مداهنة فى دين ودنيا، ويكون قد وافق فيه حكم السُنّة لا يكون على وصف مكروه، ثم ينوى بالأكل التقوّى على البرّ ، والتقوّى والاستعانة على خدمة المولى، ويعرف النعمة فيها أنها من المنُعم وحده لاشريك له فيها، ويعتقد الشكر له عليها، ويؤثر التقلل على الاتساع، والقناعة على الحرص، والأدب فيه على الشره، ثم غَسْل اليد فى أوله للاستحباب، وفى آخره للنظافة، والتسمية فى أوله والحمد فى آخره، والأكل باليمين، ويبتدى بالملح ويختم به، وأنْ لا يذم مأكولا ولا يعيبه، إنْ أعجبه أكل وإلاّ تركه، والقناعة بالمأكول من القَسْم، والرضا بالموجود من الرزق، وأن تَكثُر الأيدى على الطعام، وفى الخبر اجتمعوا على طعامكم يُبارَك لكم فيه، وتصغير اللقمة، وتجويد المضغ، وأن لا ينظر فى وجوه الآكلين ولا يتفقد مأكلهم، وأن يقعد على رجله اليسرى وينصب اليمنى ، ولا يأكل متكئا ولا مضطجعا، ولا يكون أول من يبتدىء بالأكل حتى يسبق صاحب المنزل ، والأكبر فالأكبر إلاّ أن يكون إماما يُقتدى به، أو يكون القوم منقبضين فيبسطهم بالابتداء، ولا يجمع بين التمر والنوى فى طبق ، ولا يجمعهما فى كفه، ويستحب أنْ يأكل من التمر وِتْراً ، سبعا أو إحدى عشرة أوإحدى وعشرين، وأنْ يفطر على رُطَب إنْ وجده وإلاّ فتمر، فإنْ لم يجد فعلى الماء. وكان **وهب بن منبه** يقول الصائم يزيغ بصره ، فإذا أفطر على حلاوة رجع بصره. ولا يقرن بين تمرتين فى الجماعة إلا أن يفعلوا ذلك أو يستأذنهم، وأن يأكل بعد الجوع، ويرفع يده قبل الامتلاء بمقدار ثلث بطنه أو نصفه، كذلك سُنّة السلف وهو أصحّ

للجسم، وليأكل مما يليه إلاّ الفاكهة فله أن يجيل يده فيها، ويأكل بثلاثة أصابع، إلاّ الثريد فيأكل بأصابعه كلها، وأنْ يأكل من ذروة القصعة ولاوسط الطعام، وليأكل من نواحيه، وأن لا يصمتوا على الطعام فإنه من سيرة العَجَم، فليتكلموا بالمعروف، ولايكثر قول كُلْ «على أخيه فإنّ ذلك يحشمه وربما قطعه، ولا ينبغى لأخيه أنْ يُحوِجه إلى تفقدّه فى الأكل وتكرير قوله له «كُلْ». وقال بعض الأدباء أحسن الآكلين أكلاً من لم يحوِج صاحبه إلى تفقدّه فى الأكل، ومن حمل عن أخيه مؤنة القول، ولا يدع شيأً من المأكول يشتهيه لأجل نظر الغير إليه فإنه من التصنّع، فإنْ تركه إيثاراً لإخوانه أو قدّمه إلى أخيه فحَسَن، ولا يُنقِص من أكله المعتاد، وإن زاد لأجل مساعدة الجماعة أو بنيّة فضل الأكل مع الإخوان فلا بأس بذلك. والشرب فى تضاعيف الأكل مستحب من جهة الطب مالم يبتديه أو يُكثِر منه، يقال إنّه دبّاغ المعدة. والشُرب متكئاً مكروه للمعدة أيضا من جهة الطب، والأكل متكئا ونائما ليس من السُنّة إلا ما يُتناول أو يتنقل به من الحبوب ومافى معناها. ويقال إن الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بَقْل، ودعا بعض الرؤساء إخوانه فانفق مائتى درهم ، فقال له بعض الحكماء لم تكن تحتاج إلى هذا كله إذا كان خبزك جيد ، أو خلّك حامضا، وماؤك باردا فهو كفاية. وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان، والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين. وقال آخر شرب الماء البارد على الطعام خير من زيادة الألوان. وقال **أبو سليمان الدارانى** أكل الطيبات يورث الرضا عن اللّه عز وجل. وقال المأمون رحمه اللّه شرُب الماء بثلج يُخلص الشكر للّه عز وجل. **وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم** مَن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه. ومن إكرام الضيف تعجيل الطعام لهم. وأفضل ماقُدّم إليهم اللحم، وخير اللحم السمين النضيج، فإن كان بعد اللحم حلاوة فقد جمع لهم الطيبات. ينتظم هذه المعانى قوله عز وجل «**هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين**» قيل فى المكرمين قولان أحدهما خِدمُته إياهم بنفسه، والثانى أكرمهم بتعجيل الطعام إليهم. وقوله تعالى« **فما لبث أن جاء بعجل حنيذ**» أى فما احتبس ولا أقام، والحنيذ النضيج. وقال تعالى «**فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين**،» الروغان الذهاب بسرعة، وقيل الذهاب بخفية، وقيل إنه جاء بفخذ من لحم فسُمّى عجلا لأنه عجّلة ولم يلبث به. ثم وُصِف بأنه سمين نضيج، يقال حنيذ ومحنوذ أيضا، قال كان نضيجا.

وليأكل الرجل فى منزل أخيه سجية أكله فى منزله بغير تكلّف ولا تزيّن، لأنه قد يدخل من الرياء والتزين فى الطعام مثل ما يدخل فى سائر الأعمال من الصلاة والصيام، والأكل عمل، وكل عمل يحتاج إلى نية وإخلاص، فلتكن نيته فى أكله الاستعانة على الطاعة ، ولتكن نيته مع إخوانه إكرامهم بذلك وإدخال السرور عليهم، والتبرّك بالجماعة لقول **النبى صلى الله عليه وسلم** الجماعة بركة. وينوى إقامة السُنّة فى إجابة الدعوة ليكون مأجوراً فى أكله عاملاً فى جميع ذلك بسُنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذا كله داخل فى حُسن الخلق، وهو فى معنى قول **الرسول صلى الله عليه وسلم** إنّ العبد ليدرك بحسن خُلُقه درجة الصائم للقائم، وقد قال بعضهم هو الرجل يسأل إخوانه أنْ يفطر معهم نهارا أو يسهر معهم ليلا، ويكون من عادته الصيام والقيام فيساعدهم تخلقا معهم، فيدرك بحُسن خلقه درجة الصائم القائم. وقال بعض العلماء من أهل الأدب ليس من السنّة والمروءة أن يزور الرجل إخوانه فيتشاغل عنهم بالصلاة النافلة، أو يستزيره إخوانه فيقدّمون إليه الطعام فلا يساعدهم عليه لأجل الصيام، ولا يقصر عن بغيته من المأكول فيترك الأكل مع حاجته إليه، فإنه غير محمود ولا مأجور عليه إن لم يكن سبب أوجب عليه ذلك. وقال **جعفر بن محمد** عليه السلام أحبُّ إخوانى إلىّ أكثرهم أكلاً وأعظمهم لقمة. وأثقلهم علىّ من يحْوِجُنى إلى تعاهده فى الأكل . وقال أيضا يتبين محبة الرجل لأخيه بجودة أكله فى منزله ، فإنْ قلل الأكل مع الفقراء إيثاراً لهم أو لقلة الطعام فحسن . وروينا أن **سفيان الثورى** دعا **إبراهيم بن أدهم** وأصحابة إلى طعام فقصرّوا فى الأكل ، فلما رفعوا الطعام قال له **الثورى** إنك قصّرت فى الأكل ، فقال إبراهيم لأنك قصّرت فى الطعام فقصّرنا فى الأكل . قال ودعا **إبراهيم الثورى** وأصحابة إلى طعام فأكثر منه ، فقال له يا أبا إسحق أما تخاف أن يكون هذا إسرافا ، فقال إبراهيم ليس فى الطعام سَرَف. وليلعق أصابعه قبل أن يمسحها بالخرقة ، وليأكل ما سقط من فتات الطعام ، يقال إنه مهور الحور العين ، يقال من لعق الصحفة وشرب ماءها كان له عتق رقبة . وإنْ أكَلَ حلالاً فليقل الحمد الله الذى بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات. اللهّم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأطعمنا طيباً واستعملنا صالحا. وليكثر شكر الله تعالى على ذلك. وإنْ أكل شُبهة فليقل الحمد الله على كل حال، اللهّم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ولا تجعله قوّة لنا على معصيتك، وليكثر الحزن والاستغفار. وفى خبر إذا دعى أحدكم إلى طعام فلم يُجب فلا يقل كُلْ فلعله يكون أخذه من غير حلّه ، ولكن ليقل أطعمك الله طيبا . وليقل إذا

أكل لبناً اللهّم صلّ على محمد وعلى آل محمد ، وبارك لنا فيما رزقنا ، وارزقتنا خيرا منه . كذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول، لأن اللبن أعم نفعا من غيره. وليقل فى **أول** لقمة بسم الله، وفى **الثانية** بسم الله الرحمن، وفى الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم، وليشرب الكوز فى **ثلاثة** أنفاس يقطعه، وليقل فى أول جرعة الحمد لله، وفى **الثانية** الحمد لله رب العالمين ، وفى **الثالثة** يزيد الرحمن الرحيم. وإنْ سَمّى فى أول كل لقمة فحَسَن، وليقرأ بعد فراغه من الطعام قل هو الله أحد ولئيلاف قريش.

وتقديم الفاكهة قبل الطعام أوفق. وفى كتاب الله عز وجل ترتيب ذلك من قوله سبحانه وتعالى «**وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون**»، ولا يرفع يده قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون أو يحتاجون إلى بسط، فإنْ كان قليل الأكل تربّص حتى يضعوا أيديهم فيأكلوا صدراً من الطعام ثم يقعد بعدهم ليستوى أكله مع أكلهم، فإن كانوا علماء لم يكرهوا ذلك منه وقد فعله كثير من الصحابة، ولا يتكلف لإخوانه من المأكول ما يثقل عليه ثمنه أو يأخذه بدين أو يكتسبه بمشقة أو من شبهة. ولا يدخر عنهم ما بحضرته، ولا يستأثر بشىء دونهم، ولا يضر بعياله. وليس من السنّة أن يقصد الرجل قوما يتحين حضور طعامهم ليصادفه فإنّ ذلك من المفاجاة فقد نهى عنه، قال الله سبحانه وتعالى «**لا تدخلوا بيوت النبى إلاّ أنْ يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين أناه**»، يعنى منتظرين حينه ونضجه. وفى الخبر من مشى إلى طعام لم يُدْع إليه مشى فاسقا وأكل حراما، ولكن إنْ صادفهم يأكلون فسألوه أنْ يأكل معهم وعلم أنهم يحبون أكله معهم فلا بأس وليس ذلك داخلا فى المفاجأة، فإنْ لم يعلم أنهم يحبون أنْ يأكل معهم وإنما قالوه تعزيزاً وحياءً كرهتُ له الأكل معهم. وإنْ كان جائعا فقصد بعض إخوانه ليطعمه ولم يتحين وقت أكله فلا بأس بذلك. وقد قصد **رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر** رضى الله عنهم منزل **أبى الهيثم بن التيهان وأبا أيوب الأنصاريين** لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا. ومن السنّة أن يخرج الرجل مع ضيفه إذا انصرف إلى باب الدار. وليس من السنّة أنْ يخرج الضيف من المنزل عن غير إذن صاحبه، ولا أن يقيم للضيافة فوق ثلاثة أيام حتى يخرجه أو يتبرم به. وروينا عن **أنس بن مالك** وغيره من الصحابة كانوا يقدمون إلى إخوانهم ماحضر من الكسر اليابسة والحشف من التمر والدقل ويقولون لا ندرى أيهما أعظم وزراً، الذى يحتقر ما يُقدّم إليه، أو الذى يحتقر ماعنده أن يقدمه. وقد كان **أنس** وغيره يقولون إن الاجتماع على الطعام من مكارم

الأخلاق. وفى الخبر أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يجتمعون على قراءة القرآن والذكْر ولا يفطرون إلاّ عن نَوَاق. ولا ينبغى للمدعو أن يقترح على الداعى شيئاً بعينه فيقول أريد كذا فليس ذلك من القناعة، فإنْ خيّره أخوه بين طعامين فليختر أقربهما منه وأيسرهما عليه، كذلك السنة. وفى الخبر عن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** ما خُيّر بين أمرين إلاّ اختار أيسرهما. فإنْ شهّاه أخوه وسأله فلا بأس أن يذكر له شهوةً ليصنعها فيعينه على فضيلتها، فقد روينا فى فضل ذلك غير حديث، منها **الحديث** المشهور من صادف من أخيه شهوة غفر له، ومن سرّ أخاه المؤمن فقد سرّ الله عز وجل. وروينا عن **ابن الزبير** عن **جابر** قال قال **رسول الله صلى الله عليه وسلم** من لذّذ أخاه بما يشتهى كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، وأطعمه الله تعالى من ثلاث جنات، جنة الفردوس وجنة عدن، وجنة الخُلد.

والخلال بعد الأكل حَسَن فلا يبين عنه. ولا بأس بغَسل اليد فى الطست، وروينا أنّ **أنس بن مالك** اجتمع هو **وثابت البنّانى** على طعام فقدّم الطست إلى ثابت ليغسل يده فامتنع، فقال **أنس** إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا ترده فإنه إنما يكرم الله عز وجل. وروى أن **هرون الرشيد** دعا **أبا معاوية الضرير** فصبّ على يده فى الطست، فلما فرغ قال له يا أبا معاوية تدرى من صبّ على يدك قال لا، قال أمير المؤمنين، قال يا أمير المؤمنين إنما أكرمتَ العلم وأجللته فأجلّك الله عز وجل وأكرمك كما أجللت العلم وأكرمتَه. ولا يزدردن ما أخرج الخِلال من أسنانه فإنه داء ومكروه، وليتمضمض بعد الخلال ففيه أثر عن بعض أهل البيت عليهم السلام. وليقل عند فراغه من الطعام الحمد لله حمداً كثيراً دائماً طيباً نافعاً مباركاً فيه، اللّهم صلّ على محمد وعلى آله، وأطعمنا طيباً، واستعملنا صالحاً، واجعله عوناً لنا على طاعتك، ونعوذ بك أن نستعين به على معاصيك.

وفى الأكل مع الإخوان **ثلاث** فضائل – روى عن **جعفر بن محمد** عليهما السلام : إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم وفى خبر عن بعض السلف لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه، فكان بعضهم يكثر من الأكل فى الجماعة ويتقلل إذا أكل وحده. وروينا عن **ابن مسعود** قال نهينا أن نجيب دعوة من يباهى بطعامه. وقد كره جماعة من الصحابة أكل **طعام المباهاة والمباراة**، وهذا مكروه لمن

يقدمه بهذه النية إلى إخوانه لأنه قد عرّضهم لتناول ما يكرهون، وقد دلّس عليهم مالا يعلمون. وأيضا فإن ما يقدم لأجل الله تعالى فلا يصلح أنْ يستثنى ارتجاع شيء منه. ولا ينبغي له أن يقدم إلا ما يحب أن يأكلوه من كل شيء أيضا، ومقدار الحاجة والكفاية من المأكول. وإذا حضر الطعام والصلاة فإنْ كانت نفوسهم تتوق إليه وفي الوقت سعة قدّموا الأكل، وإنْ كانت نفوسهم ساكنة أو ضاق الوقت أو خشوا أن يتطاول بهم الأكل صلّوا أوّلا. وينبغي إذا حضرت الألوان أن يبتدىء بتقدمة الألطف فالألطف، والأطيب فالأطيب. والأمثل أن يبتدىء بالشواء قبل الثريد فذلك سُنّة العرب، ليصادف جوعهم أطيب الطعام فيستوفوا من ذلك أوفر النصيب فيكون أثوب لصاحبه وأقل لأكلهم، فإنْ احتاجوا إلى مابعد من غليظ الألوان والطعام تناولوا منه قليلا، فإنما قدّم أهل الدنيا اللون الغليظ على اللطيف ليتسع أكلهم وتنفتق شهوتهم فيكون اللون اللطيف في موضع آخر، وليكونوا قد أكلوا من اللون الأجود الأطيب أقل، وهذا غير مستحب عند أبناء الآخرة. وقد كان من سُنّة المتقدمين أن يقدموا جملة الألوان في مكان واحد مما يُشتهى، وليكون ما تقدم معلوماً لهم. وإذا لم يكن عنده إلا لون واحد يقول لهم ليس يحضر إلاّ هذا ليستوفوا منه ولا يتطلعوا إلى غيره. وينبغي أن يمكنهم من بقية الألوان ولا يرفعها حتى يرفعوا أيديهم فإنه من الأدب، ولعل فيهم ما يكون عنده ما قُدّم أشهى إليه مما يقُدّم بعد، وقد يكون فيهم من به حاجة إلى فضل أكل فينقص عليه برفعه قبل أن يستوفي مافي نفسه.

وكان بعض السلف يقول في تفسير **التكلّف** أنْ تطعم أخاك مالا تأكله أنت، أي لا يكون من مأكلك في الجودة ومما له قيمة فتشق على نفسك بذلك. وكان **الفضيل** يقول إنما تَقَاطَع الناس بالتكلّف ، يدعو أحدهم أخاه فيكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه. وكان بعض السلف يأمر بتقديم ماحضر فإنه أدوم للرجوع وأذهب لكراهة صاحب المنزل ومن دُعي إلى طعام وعنده إنسان أو جماعة من حيث يعملون فليستثن الواحد أو الجماعة معه فإنه من السنّة والأدب، فإن دعى وحده أو مع نفر بأعيانهم أو أعدادهم فتبعهم واحد لم يكن في العدد فليذكر للداعي قبل دخولهم إليه ليأذن له معهم، كذلك السنة. ومن دعي في جماعة وفُوّض إليه الأمر فيهم فليعرّف صاحب المنزل عُدّتهم قبل مجيئهم ليستعد لهم بعد أن يعرض عددهم. ومن دعا رجلاً في غير دعوة عامة وعنده قوم أو رجل بعينه فليُعلمه بمن عنده ليدخل على بصيرة، فلعل أن يكون عنده من يكره هذا المدعو الاجتماع معه، لأن الأكل معاشرة، وليس كل إنسان يحب

أن يعاشر كل أحد خاصةً الرؤساء. ومن دخل عليه داخل وهو يأكل فلا يرفع الطعام فليس ذلك من السُنّة ولا من فعل أهل المروءة، ولعل الداخل أحوج إليه منه وقد بُعث إليه اختباراً له. وإذا عرضت على أخيك الطعام مرة أو مرتين فلا تُلحن عليه، وكذلك إذا دعوته فكَرِه فقد قالوا لا تُكرم أخاك بما يشُق عليه، ولا تزيدن على ثلاث مرات، فإن الإلحاح واللجاج مازاد على ثلاث مرات وليس ذلك من الأدب. قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خوطب في شيء ثلاثا لم يُراجَع بعد ثلاث .

وكان **الحسن بن علي** رضى الله عنهما يقول الطعام أهون من أنْ يحلف عليه، وقال مرة من أن يُدعَى إليه، ذلك لعظيم حق المؤمن. وكان **الثوري** يقول إذا زارك أخوك فلا تقل له تأكل أو أقدّم إليك، ولكن قدّم ماعندك، فإنْ أكل وإلاّ فارفعه. وكان **الحسن وابن المبارك** إذا أرادا الغداء أو العشاء فتحا بابهما فمن دخل عرضا عليه الأكل. وقد كان هذا من سيرة السلف أنهم يفتحون الباب عند حضور الطعام، ومن صادف دخوله أكل معهم. ومنهم من كان يقعد في دهليز داره ويفتح الباب فكل من مرّ عليه في الطريق دعاه إلى طعامه من غني أو فقير. وقال بعض التابعين إلاّ أنّ خياركم أكلكم في الأفنية وأوسعكم آنية وأحلاكم أطلية، إلاّ أنّ شراركم أكلكم في الأخبية وأصغركم أطلية. ومن دعا رجلاً إلى طعامه وهو يعلم أنّ **الأحبّ** إليه أنْ لا يأكل فمكروه له أن يأكل ولا يعبأ بقوله إذا علم منه خلافه، فإنْ لم يعلم حقيقة ذلك فله أن يجيبه على ظاهر قوله، وليس له أن يسيء الظن به . ودعا رجل **الأحنف بن قيس** في سفر إلى طعامه فقال له الأحنف لعلك من **العارضين**، قال وما العارضون، قال الذين يحبون أنْ يُحمَدوا بما لم يفعلوا، فسكت الرجل فلم يجبه الأحنف إلى الطعام. وكان **الثوري** يمشي مع رجل فمر بباب منزله فعرض عليه الدخول ليأكل عنده، فقال له الثوري أصدقني عن شيء أسألك.أيما أحب إليك ، أدخل أو انصرف؟ فسكت فانصرف الثوري. ومن عَلِم من أخيه أنه يحب أن يأكل من طعامه فلا بأس أن يأكل بغير إذن، لأن علمه بحقيقة حاله ينوب عن إذنه له في الأكل. وقد كان **محمد بن واسع** وأصحابه يدخلون منزل **الحسن** فيأكلون ما يجدون بغير إذن، وكان الحسن ربما دخل فيجدهم كذلك فيُسر ويقول هكذا كنا. وروى عنه أنه كان يأكل من متاع بقّال يأخذ من هذه الجونة تينة ، ومن هذه فستقة، فقال له **هاشم الأوقص** ياأبا سعيد تأكل من متاع الرجل بغير إذنه، فقال يا لكع، أما قرأت آية الأكل، ثم تلا عليه «**ولاعلى أنفسكم أنْ تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم**» إلى قوله تعالى« **أو صديقكم**» . ثم قال

الحسن: الصديق مَن استروْحتْ إليه النفس واطمأن إليه القلب، فإذا كان كذلك فلا يأذن له في ماله. وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم لحماً تصدّق به على بريرة من غير أنْ يستأذنها ولم تكن حاضرة، لعلمه أنها تسرّ بذلك. وقال إن الصدقة قد بلغت محلها،هو عليها صدقة، ولنا هدية. وقال صلى الله عليه وسلم - رسول الرجل إلى الرجل إذْنُه، أى قد علم بإذنه له في الدخول عليه فأغناه من الاستئذان. ففي تدبّر فعله عليه السلام أنّ مَن علِمتَ كراهته لأكلك من طعامه أنْ لا تأكل.

وقد كان بعض الصوفية يقول لا تُجب دعوةَ إلا مَن يرى لك أنك أكلت رزقك وأنه سلّمه إليك وديعة كانت لك عنده، ويرى لك الفضل عليه في قبولها منه، فهذه شهادة العارف من الداعين. كذلك شهادة المدعوين من الموحدين: أن يشهدوا الداعى الأول، والمجيب الآخر، والمعطى الباطن، والرازق الظاهر.

وروينا عن ابن عباس أنه قال من أفضل الحسنات إكرام الجلساء، مَن لم يُرد أن يطعم قوماً من طعام فلا يظهرهم عليه ولا يصفه لهم سواء كان هو قد أكله أو لم يأكله. وينبغى أن يكون للمجيب إلى الدعوة نيّات سبع إذ الأعمال بالنيات، ولكل امرىء ما نوى، إذ الإجابة من الأعمال، فمن نواها دنيا كانت له دنيا لعاجل حظه، ومن أراد بها آخرة فهى له آخرة بحسب نيته، وإنْ لم تحضر نية أو اعتلّ بفسادها توقف حتى يهيىء الله عز وجل له نية صالحة تكون الإجابة عليها، أو ترك الإجابة إذا كانت بغير نية ، لأنها من أفاضل الأعمال فتحتاج إلى أحسن النيات، لوجود العلم فيها فتكثر بها الحسنات، ولفقد الهوى منها فيسلم فيها من السيآت، وإلاّ كانت إجابته هُزواً وكان عاملا في باب من أبواب الدنيا وساعياً في حظ نفسه وملء جوفه. وقد قال الرسول عليه السلام من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها فهجرته إلى ماهاجر إليه، فيصير مأزوراً بفساد النية، أو يكون غير مأجور لعدمها، فأول النيات طاعة الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقوله عليه السلام من لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. والثانية إقامة السنّة لقوله عليه السلام لو دعيتُ إلى كراعٍ لأجبت (وهو موضع على أميال من المدينة أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان لمّا بلغه وقصر عنده فى سفره). وقال فى الخبر الآخر لو دعيت إلى ذراع لأجبت.. فهذا ظاهر فى الاجابة على القليل، والأول محتمل فى الإجابة إلى الموضع البعيد، والنية

الثالثة إكرام أخيه ، وفى الخبر من أكرم أخاه المؤمن فإنما يكرم الله تعالى . **والنية الرابعة** إدخال السرور على أخيك المؤمن. والخبر الآخر من سرّ مؤمنا فقد سرّ اللّه عز وجل. **والنية الخامسة** رفع الغَمّ عن قلبه، ووضع الهَمّ عن نفسه، فى ترك إجابته، من ترجيم الظنون به وتوقيع الرجم بالغيب فيه لمّا لم يُجِب ، ولعله يجيب وإلاّ كان يجيب فيرفع عنه ذلك ويسقط عنه مؤنة سوء الظن به وتنزيل الشك فيه باليقين به. **والنية السادسة** أن ينوى زيارته، فقد جاء فى فضل الزيارة فى اللّه تعالى، وأنّ بها يستحق ولاية اللّه تعالى، وأنها علامة ولاية المتحابين فى اللّه ، فاشترط لذلك شيآن التباذل للّه والتزاور فيه. **والنية السابعة** أن يزوره ، فقد حصل البذل من أحدهما، بقيت الزيارة من الآخر، على الخبر السائرأن الإجابة من التواضع ، كما ذكرنا من قبل أن المتكبرين لا يجيبون الداعى. فهذه سبعة أعمال نيات لمن وفّق لعملها والعمل بها.

ومن طَرَقته فاقة من الفقراء فقصد بعض إخوانه يتصدى للأكل عنده فجائز له ذلك بشرطين، لا يكون عنده موجود من طعام، ونيته أن يؤجر أخاه، فهذا داخل فى التعاون على البر والتقوى ، وداخل فى التحاض على طعام المسكين، ونفسه كغيره من الفقراء، ولأن أخاه لا يعلم بصورة حاله ، ولو علمه لسرّه ذلك ، ففيه إدخال السرور عليه من حيث يعلم، وقد فعل هذا جماعة من السلف . وقد روى بمعناه أثر من ثلاثة طرق للسلف الصالح، منهم **عون بن عبد اللّه المسعودى**، كان له ثلثمائة وستون صديقا، وكان يكون عند كل واحد يوما وآخر، وكان له ثلاثون صديقا كان يكون عند كل واحد يوما وليلة، وكانوا يقدمون هذه الأخلاق السَنية مع إخوانهم فيؤثرونها على المكاسب والمعلوم، فكان إخوانهم معلومهم، ولم يكن هؤلاء يكتسبون ولا يدخرون، وكان لإخوانهم فيهم نية صالحة، يسألونم ذلك ويقسمون عليهم فيه، ويرونه من أفضل أعمالهم. وكان هؤلاء للإنصاف يكرمون إخوانهم بإجابتهم وكونهم عندهم. ولم يكن **سعيد بن أبى عروبة** يعرض على إخوانه الطعام ولكنه كان يظهره ويعرض به، فكان اللحم مسلوخا مصلقا، والخبز موجودا ظاهرا، وكذلك كان يفعل بالثياب والأثاث. وكان جميع مافى منزله مُظْهَراً مسْبَلاً، فكل من دخل عليه من إخوانه إن شاء قطع من المسلوخ فشوَى وطبخ، وإن شاء أكل من الخبز بما وجد من الأدم، ومن شاء لبس من الثياب ماشاء، فكان ذلك مشاعا فى منزله لمن أراد تناوله. ومنهم من كان منقطعا فى منزل أخيه قد أفرده بمكان يقوم بكفايته ولا يبرح من منزله على الدوام، يحكم فيه ويتحكم كما يكون فى منزل نفسه. وقال

بعض العلماء أكلتان لا يحاسب العبد عليهما ، ما أكله فى سحور ، وما أكله عند إخوانه إكراما لهم بذلك . ومن أكلف عند قوم فليقل عند فراغه : أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلّت عليكم الملائكة.

وليس كل أحد يُحسن **أدب غسل اليد**، كما ليس كل إنسان يعرف سُنّة الأكل، فمن غسل يده بأشنان ابتدأ بغسل أصابعه أولا، ثم يجعل الأشنان فى راحته اليسرى وأمَرّه على شفتيه جَسًا، وأنعم غسل فيه بإصبعيْه، وظاهر أسنانه وباطنه وحنكه ولسانه، ثم غسل أصابعه من ذلك بالماء، ثم دلّك ببقية الأشنان اليابس أصابعه ظهراً وبطنا، ثم لم يدخل الأشنان ثانيا إلى فيه لئلا يعود بالغمر إليه من يديه. وهذا يكفيه من تثنية الغسل. ومن غسل يد إخوانه بعد أكلهم من طعامه فمن الأدب أن يصب على أيديهم بالماء العذب، فبمثل هذه اللطيفة ونحوها يُعرف حُسن تفقد الدعاة وليستبين تعاهد الرعاة.

ومما جاء فى الآثار فى الأطعمة والأكل من طرائق السلف وصنائع العرب أن اللحم ينبت اللحم، والثريد طعام العرب، ولن تستشفى النَفساء بشىء أفضل من الرطب، والسمك يذيب الجسد، والسواك يُذهب البلغم، ومن أراد البقاء ولابقاء فليباكر الغداء وليُقِلّ غشيان النساء وليخفف الرداء. وفى أخبار الأمراء أن الحجّاج قال **لبنادق المطيّب صفْ لى صفةً** آخذ بها ولا أعددها، قال له لا تنكح من النساء إلاّ فتاة، ولا تأكل من اللحم إلاّ فتيتا، ولا تأكل المطبوخ حتى ينعم نضجه، ولا تشربن دواء إلاّ من علة، ولا تأكل من الفاكهة إلاّ نضيجها، ولا تأكل طعاما إلا أجدْت مضغه، وكُلْ ما أحببت من الطعام ولا تشرب عليه، فإذا شربت فلا تأكل عليه شيأ، ولا تحبس الغائط والبول، وإذا أكلت بالنهار فَنَمْ، وإذا أكلت بالليل فامشِ قبل أن تنام ولو مائة خطوة. وفيما قاله الفيلسوف ترك العشاء مهرمة، والعرب تقول ترك الغداء يُذهب بشحم الكاذة يعنى الإلية. وقال بعضهم نهانى الأطباء عن الشُرب فى تضاعيف الطعام. والعرب تقول تعشّ وتمشّ وتُغدّ وتُمدّ، يريدون تمدد فأبدلوا الألف من الدال الثانية كراهية التكرار ولازدواج الكلام.

وأما فى حبس الغائط فقد قال بعض الفلاسفة الطعام إذا خرج قبل ست ساعات فهو مكروه من المعدة، وإذا بقى فيها أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو ضرر على المعدة. ويقال إنّ حبس البول يفسد من الجسد كما يفسد النهر ماحوله إذا سُدّ مجراه ففاض من جوانب.

وقيل لجالينوس إنك تُقِلّ من الطعام، فقال غرضى من الطعام أنْ آكل لأحيا، وغرض غيرى من الطعام أنْ يحيا ليأكل.وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما جاء نعى جعفر بن أبى طالب إنّ آل جعفر شُغِلوا بميتهم عن صنيع طعامهم فاحملوا إليهم ما يأكلون. فهذا سنّة فى حمل الطعام إلى أهل الميت.

الفصل الاربعون

فى ذكر فضائل الفقر وفرائضه. ونعت عموم الفقراء وخصوصهم. وتفصيل قبول العطاء ورده. وطريقة السلف فيه

قال الله الكبير المتعال: للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، وقال تبارك وتعالى: للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض»، فقدّم وصف أوليائه بالفقر على مدحهم بالهجرة والحصر، والله تعالى لا يصف من يحب إلاّ بما يحب، فلولا أنّ الفقر أحب الأوصاف إليه ما مدح به أحباءه وشرّفهم به. وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر وأخبر بفضله فى غير حديث، منها عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أى الناس خير، فقالوا موسر من المال يعطى حق الله عز وجل فى نفسه وماله، فقال نِعْمَ الرجل هذا وليس به، قالوا مَن خير الناس يارسول الله، قال فقيرٌ يعطى جهده.. ومنها حديث بلال أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له القِ الله عز وجل فقيراً ولا تلقه غنيا. وفى الحديث الذى روى عن ابن الأعرابى أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال له لا أفْضَلَ من الفقير إذا كان راضيا.. وفى الحديث الآخر أن الله تبارك وتعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال.. وفى الخبرين المشهورين يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام، والحديث الآخر اللهّم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زُمرة المساكين. فهذا منه صلى الله عليه وسلم تفضيلٌ للفقراء وإكرامٌ لهم وتنبيهٌ وحثٌ على فضل الفقر. وروينا عنه صلى الله عليه وسلم خيرُ هذه الأمة فقراؤها، وأسرعها تضجيعا فى الجنة ضعفاؤها. وروينا فى خبر إسمعيل النبى عليه السلام المفسِّر لخبر موسى عليه السلام أنّ إسمعيل قال يارب أين أطلبك؟ فقال الله عز وجل عند المنكسرة قلوبهم من أجلى. قال ومن هم؟ فقال تعالى الفقراء الصادقون. وقد روينا فى تفسير قوله تعالى «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم»، قال الفقر فى